شرح

أصول العقائد الدينية

عبد الرحمـٰـن بن ناصر السعدي

رحمه الله تعالىٰ

لفضيلة الشيخ

زيد بن محمد المدخلي

-حفظه الله تعالىٰ-

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

[أشرطة مفرغة]

أعدّ هذه المادة

سالم بن محمد الجزائري

[المتن]

قال الشيخ عبد الرحمـٰن بن ناصر السعدي رحمه الله:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وأتباعه إلىٰ يوم الدين.

أما بعد،

فهـٰذا مختصر جدا في أصول العقائد الدينية والأصول الكبيرة المهمة، اقتصرنا فيها على مجرّد الإشارة والتنبيه، من غير بسط للكلام، ولا ذكر لأدلتها.

أقرب ما يكون لها أنها من نوع الفهرس للمسائل؛ لتُعْرَف أصولُها ومقامها ومحلها من الدين، ثم من له رغبة في العلم يتطلّب بسطها وبراهينها من أماكنها.

وإن يسر الله وفسح في الأجل بسطتُّ هـٰذه المطالب ووضّحتها بأدلتها.

الأصل الأول: التوحيد.

حدّ التوحيد الجامع لأنواعه هو اعتقاد العبد وإيمانه بتفرّد الله بصفات الكمال، وإفراده بأنواع العبادة.

فدخل في هـٰذا:

- **توحيد الربوبية: الذي هو اعتقاد انفراد الرب بالخلق والرزق وأنواع التدبير.**
- **وتوحيد الأسماء والصفات: وهو إثبات ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.**
- **وتوحيد الألوهية والعبادة: هو إفراده وحده بأجناس العبادة وأنواعها، وإفراده من غير إشراك به في شيء منها، مع اعتقاد كمال ألوهيته.**

فدخل في توحيد الربوبية: إثبات القضاء والقدر، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه على كل شيء قدير، وأنه غني حميد وما سواه فقير إليه من كل وجه.

ودخل في توحيد الأسماء والصفات: إثبات جميع معاني الأسماء الحسنى لله تعالىٰ الواردة في الكتاب والسنة، والإيمان بها ثلاث درجات:

- **إيمان بالأسماء.**

- وإيمان بالصفات.
- وإيمان بأحكام صفاته.

كالعلم بأنه عليم ذو علم، ويعلم كل شيء.

قدير ذو قدرة ويقدر على كل شيء... إلىٰ آخر ماله من الأسماء المقدسة.

ودخل في ذلك: إثبات علوه على خلقه، واستوائه على عرشه، ونزوله كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا على الوجه اللائق بجلاله وعظمته.

ودخل في ذلك: إثبات الصفات الذاتية التي لا ينفكّ عنها؛ كالسمع، والبصر، والعلم، والعلو ونحوها.والصفات الفعلية وهي الصفات المتعلقة بمشيئته وقدرته؛ كالكلام، والرزق، والخلق، والرحمة، والاستواء على العرش، والنزول إلىٰ السماء الدنيا كما يشاء. وأن جميعها تثبت لله من غير تمثيل ولا تعطيل، وأنها كلها قائمة بذاته، وهو موصوف بها، وأنه تعالىٰ لم يزل ولا يزال يقول ويفعل، وأنه فعال لما يريد، يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، لم يزل بالكلام موصوفا وبالرحمة والإحسان معروفا.

ودخل في ذلك: الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأنه المتكلم به حقا، وأن كلامه لا ينفذ ولا يبيد.

ودخل في ذلك: الإيمان بأنه القريب المجيب، وأنه مع ذلك علي أعلى، وأنه لا منافاة بين كمال علوه وكمال قربه؛ لأنه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وصفاته، ولا يتم توحيد الأسماء والصفات حتى يؤمن بكل ما جاء به الكتاب والسنة من الأسماء والصفات والأفعال وأحكامها على وجه يليق بعظمة الباري، ويعلم أنه كما أنه لا يماثله أحد في ذاته فلا يماثله أحد في صفاته.

ومن ظن أن في بعض العقليات ما يوجب تأويل بعض الصفات على غير معناها المعروف فقد ضل ضلالا مبينا.

ولا يتم توحيد الربوبية حتى يعتقد العبد أن أفعال العباد مخلوقة لله، وأن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله، وأنّ لهم أفعالا وإرادة تقع بها أفعالهم وهي متعلق الأمر والنهي، وأنه لا يتنافى الأمران:

إثبات مشيئة الله العامة الشاملة للذوات والأفعال والصفات.

وإثبات قدرة العبد على أفعاله وأقواله.

ولا يتم توحيد العبادة حتى يخلص العبد لله تعالىٰ في إرادته وأقواله وأفعاله، وحتى يدع الشرك الأكبر المنافي للتوحيد كل المنافاة؛ وهو أن يصرف نوعا من أنواع العبادة لغير الله تعالىٰ.

وكمال ذلك أن يدع الشرك الأصغر؛ وهو كل وسيلة قريبة يُتوصل بها إلىٰ الشرك الأكبر كالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك.

والناس في التوحيد على درجات متفاوتة بحسب ما قاموا به من معرفة الله والقيام بعبوديته، فأكملهم في هــٰذا الباب من عرف من تفاصيل أسماء الله وصفاته وأفعاله وآلائه ومعانيها الثابتة في الكتاب والسنة، وفهمها فهما صحيحا، فامتلأ قلبه بمعرفة الله وتعظيمه وإجلاله ومحبته والإنابة إليه، وانجذاب جميع دواعي قلبه إلىٰ الله تعالىٰ متوجها إليه وحده لا شريك له، ووقعت جميع حركاته وسكناته في كمال الإيمان والإخلاص التام الذي لا يشوبه شيء من الأغراض الفاسدة، فاطمأن إلىٰ الله تعالىٰ معرفة وإنابة وفعلا وتركا وتكميلا لنفسه وتكميلا لغيره بالدعوة إلىٰ هــٰذا الأصل العظيم، فنسأل الله من فضله وكرمه أن يتفضل علينا بذلك.

[الشرح]

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ابتدأ المؤلف رحمه الله هــٰذا الكتاب الذي هو أصول الدين الإسلامي، ابتدأه بأعظم الأصول الذي هو توحيد الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ وما يستلزمه التوحيد من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة. وإذا ذُكر التوحيد فهو يتناول أنواع التوحيد الثلاثة كلها:

توحيد الألوهية الذي هو توحيد العبادة؛ أي إفراد الله بكل عبادة مالية أو بدينة، يجب على المكلفين أن يتوجّهوا بها إلىٰ الله وحده دون سواه على طريق الإخلاص والصواب وصدق التعامل مع الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ.

وتوحيد الربوبية الذي يتجلّى في الإقرار والاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل خالق كل شيء ومدبره، والمتصرف في جميع مخلوقاته بالإيجاد والإماتة والرزق والفقر والصحة والمرض، وكل حدث من الأحداث وأمر من الأمور فالله عز وجل مُقدِّرُه؛ لأنه الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها.

والنوع الثالث **توحيد الأسماء والصفات** أي الإقرار والاعتقاد الجازم بأنّ الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ له الأسماء الحسنى وله الصفات العلى، أسماؤه حسنى كما ذكر في القرآن، ودالة على صفات الكمال

والجلال الذاتية منها والفعلية قال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]، وحذّر من أهل الإلحاد من أسماء الله وصفاته بقوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾ [الأعراف:١٨٠]، وهو وعيد شديد على كل من ألحد في أسماء الله وصفاته فأنكرها وجحدها أو أوّلها تأويلا باطلا مذموما؛ لأن الإلحاد يتفاوت في الإثم.

فجميع هـٰذه الأنواع الثلاثة –توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات– هي أساس الدين وقاعدته العظمى، ولا يقبل عمل من الأعمال إلا إذا توفّرت الأنواع الثلاثة في العبد؛ تحديد أنواع التوحيد الثلاثة عند العبد، وإذا اختلّ شيء من أنواع التوحيد لا يُقبل العمل إذا لم توجد أنواع التوحيد الثلاثة ما قُبل العمل؛ أي من أقرّ بربوبية الله ولم يفرده بالعبادة فلا يقبل منه عمل، ولا يعتبر موحدا، ومن أقر بتوحيد الألوهية فإنه يتضمّن إقراره هـٰذا توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، ومن أقر بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات فإن إقراره هـٰذا يستلزم الإيمان بتوحيد الألوهية.

إذن فالأنواع الثلاثة كلها متلازمة، وهي أساس الدين وقاعدته.

وبقية الأعمال من أوامر ونواهي ومعتقدات كلّها من حقوق التوحيد ومكملاته؛ فالإيمان بالأقدار خيرها وشرها داخلة في التوحيد وراجعة إلىٰ أنواعه، وهـكذا الإيمان بأفعال الله تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ ومشيئته النافذة، وإرادته الكونية والشرعية، كلها يستلزمها التوحيد، فلابد من الإيمان بذلك، والاعتراف بأوامر الله تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ وتنفيذها؛ كل أمر على مراد الله ومراد رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهكذا النواهي ما نهى الله عنه من أقوال وأعمال وجب الابتعاد عنه؛ لأن التوحيد يقتضي أن يبتعد العبد عن كل ما حرّم الله تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ سواءً من الشرك الأصغر أو من كبائر الذنوب أو من صغائر الذنوب، يجب أن يبتعد عن كل ما حرّمه الله في كتابه أو حرّمه رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في سنته.

فمدار الأعمال على توحيد الله بجميع أنواعه الثلاثة، ولا يكون العبد محققا لها على مراد الله ونهج رسول الله إلا إذا قام بأوامر الله عز وجل، وصدّق بأخباره وأفعاله، واجتنب المحارم ما ظهر منها وما بطن، واقتدى بكتاب ربه وسنة نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جملة وتفصيلا، من فعل ذلك فقد حقق

توحيده، ومن تخلّف عن شيء من ذلك فقد يتخلّف عن شيء يذهب معه التوحيد، ويتخلف عن شيء ينقص معه التوحيد؛ وذلك بحسب مدلولات النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.

فمثلا إذا تخلّف عن الفرائض والواجبات وتركها وارتكب المحارم والمآثم، ولم يقدِّر الله حق قدره، ما بقي معه شيء من أنواع التوحيد.

وإن قصر في بعض الواجبات، أو وقع في بعض المحرمات التي لم تكن شركا ولا كفرًا أكبر فإنه يخدش توحيدَه وينقص توحيدُه، فإذا رجع وأقام الفرائض والواجبات، وندم على ما فات من تفريط وتقصير اكتمل توحيده واكتمل إيمانه الذي يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي. والله أعلم

[المتن]

الأصل الثاني: الإيمان بنبوة جميع الأنبياء عموما ونبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصوصا.

وهـٰذا الأصل مبناه على أن يعتقد ويؤمن بأن جميع الأنبياء قد اختصهم الله بوحيه وإرساله، وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ شرعه ودينه، وأنّ الله أيدهم بالبراهين الدالة على صدقهم وصحة ما جاؤوا به، وأنهم أكمل الخلق علما وعملا، وأصدقهم وأبرهم وأكملهم أخلاقا وأعمالا، وأن الله خصّهم بخصائص وفضائل لا يلحقهم فيها أحد، وأن الله برأهم من كل خلق رذيل، وأنهم معصومون فيما يبلِّغون عن الله تَعَالَىٰ، وأنه لا يستقرّ في خبرهم وتبليغهم إلا الحق والصواب، وأنه يجب الإيمان بهم وبكل ما أوتوه من الله، ومحبتهم وتعظيمهم.

وأن هـٰذه الأمور ثابتة لنبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أكمل الوجوه، وأنه يجب معرفة جميع ما جاء به من الشرع جملة وتفصيلا، والإيمان بذلك والتزام طاعته في كل شيء بتصديق خبره وامتثال أمره واجتناب نهيه.

ومن ذلك أنه خاتم النبيين، قد نسخت شريعته جميع الشرائع، وأن نبوته وشريعته باقية إلىٰ قيام الساعة، فلا نبي بعده، ولا شريعة غير شريعته في أصول الدين وفروعه.

ويدخل في الإيمان بالرسل الإيمان بالكتب.

[الشرح]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

هـٰـذا الأصل الثاني، وقبله الأصل الأول وهو توحيد الله تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ بجميع أنواع التوحيد الثلاثة؛ توحيد الله في ربوبيته، وتوحيده في ألوهيته، وتوحيده في أسمائه وصفاته، وتوحيده في أفعاله الجليلة الحكيمة التي لا خلل فيها ولا نقص بوجه من الوجوه.

والإيمان بهذا الأصل يستلزم ويستدعي الإيمان بكل ما أوحاه الله إلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الفرائض والواجبات، ومن ترك لمحرمات والمكروهات، ومن فعل المستحبات والمندوبات، كلّها من حقوق التوحيد ومستلزمات التوحيد.

وهـٰـذا الأصل الثاني -الإيمان بالرسل والأنبياء جميعا- وهو أحد أركان الإيمان الستة، الإيمان بالرسل التي من جحد ركنا واحدا منها فقد كفر.

والرسل[1] من آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلىٰ أن خُتموا بمحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كلُّهم على تنوع مراتبهم وعددهم وأزمنتهم كلهم يجب الإيمان بهم وأنهم رسل الله وأنبياؤه.

والفرق بين الرسل والأنبياء:

أن الرسل من البشر أوحى الله إليهم برسالة، وأنزل عليهم كتبا وسننا وأمرهم بتبليغها.

والأنبياء أوحى الله إليهم أن يبلغوا شريعة من كان قبلهم.

فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا، وجب الإيمان بهم جميعا ومن كفر بواحد من الرسل فقد كفر بجميع الرسول، كما قال عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥)﴾[الشعراء:١٠٥]، وهم إنما كذبوا نوحا من بعده رسلا ومن قبله رسلا وأنبياء.[2]

([1]) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في رسالته كشف الشبهات عندما تكلم على دين الرسل (**فأولهم نوح عليه السلام**) وعلّق عليه الشيخ صالح آل الشيخ: نوح هو أول الرسل، وهو من أولي العزم من الرسل، وهو عليه السلام الذي جَعل الله جل وعلا ذريته هم الباقين في الأرض، أما آدم فإنه نبي مكلم وليس برسول، كما جاء في بعض الأحاديث أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ قال: «**آدم نبي مكلم**».

([2]) قال الشيخ محمد صالح العثيمين -رحمه الله- في شرحه على كشف الشبهات على قول شيخ الإسلام (**فأولهم نوح عليه السلام**): هـٰـذا حق، فإنه لم يبعث قبل نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رسولا وبهذا يتبين خطأ المؤرخين الذين قالوا: إن إدريس عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان قبل نوح لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾[النساء:١٦٣]، وفي =

فوجب الإيمان بهم كما يجب الإيمان بالكتب المترلة، وكما يجب الإيمان بوحدانية الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، كما يجب أن نعلم أنهم صفوة الخلق؛ يعني أفضل الخلق، فكل رسول يُبعث في قومه هو من خيرهم نسبا، ومن خيرهم خُلقا، لذا اصطفاهم الله عز وجل ولم يكن في واحد منهم عيب خَلقي ولا خُلقي؛ بل كمّلهم الله وجملهم ظاهرا وباطنا حسا ومعنى، فهم صفوة الخلق، وهم الأمناء على ما ائتمنهم الله عليه من وحيه وشرعه، فلم يزيدوا فيه ولم ينقصوا منه؛ بل بلّغوه على مراد الله عز وجل الذي أراده منهم أن يبلغوه عليه، وهم من أنصح الخلق للخلق، يدعون الخلق إلىٰ كل مصلحة من مصالح الدين والدنيا لا يقصرون ولا يفترون عن دعوة الخلق، وإنما على سبيل الدوام مدة حياته؛ مدة حياة الرسول هو جاد مجتهد في دعوة الخلق ومجاهدتهم بالبراهين والصبر على أذاهم، وكم نالهم من الأذى من الأمم فصبروا، وانتقم الله عز وجل من الأمم المكذبة للرسل بالعقاب الدنيوي، وسيعاقبهم الله العقاب البرزخي والأخروي، كما فعل الله بقوم نوح لما كذبوا نوحا، وبقوم هود لما كذبوه، وبقوم صالح وقوم شعيب وقوم لوط وقوم موسىٰ وعيسى وقوم إبراهيم.. وغيرهم من الرسل عاقبهم الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ عقوبات قصّ خبرها في القرآن الكريم.

والرسل الواسطة بين الله وبين خلقه، فما أمروا بتبليغه بلغوه، وما لم يؤمروا بتبليغه سكتوا عنه حتى يأتيهم وحي من الله، كما قال الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[النساء:٦٥]، فوجب على الأمة، على أمة محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ محبة الرسل جميعا، والإيمان أن الله عز وجل اصطفاهم.

ولكن فضل بعضهم على بعض ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[البقرة:٢٥٣]، وهـٰذا التفضيل لا يلزم منه نقص في المفضول منه لا يلزم منه نقص أبدا؛ ولكن قضى الله عز وجل وهو أحكم الحاكمين أن يكون بعض الرسل أفضل من بعض، ففضلهم الله جميعا على البشر، وفضّل بعضهم على بعض، ففضل أولي العزم على الرسل، وأولوا العزم خمسة ذكرهم الله في سورتين من الفرقان في سورة الأحزاب وفي سورة الشورى، قال عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ

=

الحديث الصحيح في قصة الشفاعة: ((**أن الناس يأتون إلىٰ نوح فيقولون له: أنت أول رسول أرسله الله إلىٰ أهل الأرض**)) فلا رسول قبل نوح بإجماع العلماء، فنوح أول الرسل بالكتاب والسنة والإجماع.

﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (٧)﴾[الأحزاب:٧]،(١) فهؤلاء الخمسة أفضل الرسل ويسمون أولوا العزم من الرسل حتى قال في حق آدم: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)﴾[طه:١١٥]، يعني ليس من أولي العزم، وفضل الله من أولي العزم الخمسة اثنين محمدا وإبراهيم عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الخليلين، وفضل من الاثنين محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو أفضل العالمين -العالم العلوي والعالم السفلي- أفضلهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأدلة الصريحة في القرآن الكريم وفي السنة والمطهرة.

لذا وجب الإيمان بهم جميعا على سبيل الإجمال، ووجب لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما جاء به من الكتاب والسنة إجمالا وتفصيلا، ومن حيث التعبد فهـٰـذه الأمة مكلفة بأن يعبدوا الله بالشرع الذي جاء به رسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يعبدون الله بشرع قبله أبدا، وما قبله كان شرعا نزلت به الكتب وأرسلت به الرسل، أنزل الله التوراة على موسىٰ، والإنجيل على عيسىٰ، وصحف إبراهيم وموسى، والزبور على داوود، كتب هي كلام الله فيها الأوامر وفيها النواهي كما قال الله عز وجل ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء﴾[المائدة:٤٤]، لكن هـٰـذه الأمة مأمورة أن تؤمن بالرسل والكتب المنزلة قبل شريعة محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إجمالا، تصدّق بذلك وأما التعبد فبشريعة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط.

والمراد بأمة محمد(٢) هم الذين بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم على وجه الأرض ومن جاء بعدهم إلىٰ يوم القيامة هـٰـذه أمة محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. من بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم يوم أن أنزل الله عليه ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)﴾[العلق:٠١]، وأنزل عليه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢)﴾[المدثر:٠١-٠٢]، من ذاك اليوم إلىٰ أن تقوم الساعة وتنتهي هـٰـذه الدنيا كلهم أمة محمد؛ ولكنهم انقسموا إلىٰ قسمين:

- أمة دعوة.

---

(١) أما سورة الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[الشورى:١٣].

(٢) انتهى الشريط الأول.

- وأمة إجابة.

فأمة الإجابة هم الذين استجابوا لدعوة الرسول، آمنوا بأن الله أرسله وأنزل عليه كتابا على سبيل العموم.

وأمة الدعوة أعم دُعوا ليؤمنوا بمحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فأبوا؛ كاليهود والنصارى والمجوس والملاحدة والوثنيين، كل من لم يدخل فيما جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو من أمة الدعوة لا من أمة الإجابة. إذن فهم مكلفون ومخاطبون بشريعة محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

لذا من مات ولم يؤمن بشرع محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فهو من أهل النار خالدا مخلدا لا يموت فيها ولا يحيى، فلا ينفعه أن يقول يوم القيامة: أنا على النصرانية تابع للإنجيل، أو تابع للتوراة أو تابع لكذا وكذا، لا ينفعه؛ لأن الكتب المتقدمة.

أولا: نزولها حق لكن دخلها التحريف والتغيير والتبديل من أولئك الأعداء، فما بقي منها صوابا فهو منسوخ بالفرقان؛ منسوخ بشريعة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما كان محرفا وباطلا فهو أبعد من أن نصدق به أو نعتقد صوابه ونعمل به.

إذن ما كان قبلنا لا يخلو إما أن يكون صوابا، وإما أن يكون محرفا باطلا، فما كان باطلا فهو أبعد من أن نأخذ به، وما كان صوابا فهو منسوخ بكتابنا فلا نحتاج إليه، والدليل على ذلك أن الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى مع عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة فيها مواعظ وحكم، فقال: «**ما هــٰذا يا ابن الخطاب ألم آت بها بيضاء نقية، أمتهوكون فيها؟**»[1] يعني متحيرون فيما جئتكم به، فأخذها عمر واعتذر إلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتركها.

لذا فإن الواجب على هــٰذه الأمة جميعا على اختلاف لغاتها وأجناسها في مشارق الدنيا ومغاربها وشمالها وجنوبها الواجب الإيمان برسالة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يمكن لأحد أن يعبد الله بشرع غير الشرع الذي جاء به رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويقبل منه أبدا، بأدلة من الكتاب والســنة، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٨]، وكلمة ﴿النَّــاسُ﴾ تشمل جميع الأناسي؛ بل رسالة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أعم من أن تكون إلىٰ ابن آدم فقط؛ بل إلىٰ عالم الجن بدليل قول الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾[الذاريات:٥٦]، فــالثقلين

---

(١) **مسند أحمد** (تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين): مسند جابر بن عبد الله، حديث رقم (١٥٠٩٤).

كلهم مكلفون بشريعة محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**والله لا يسمع بي أحد من هـٰذه الأمة يهودي أو نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي جئت به، إلا كان من أصحاب النار**».(١)

إذن هـٰذه الأمة رسولها واحد وكتابها واحد، وملتها ملة واحدة، يجب عليهم المتابعة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمتابعة أصل من أصول الدين الإسلامي.

لذا تجد أن ترتيب المؤلف هـٰذا يتفق مع الأصول الشرعية فوضعه للأصل الأول التوحيد، والأصل الثاني المتابعة هو معنى أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، ومعنى ﴿**وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم**﴾ الآية[النساء:٦٩]، والله أعلم.

[المتن]

ويدخل في الإيمان بالرسل: الإيمان بالكتب، فالإيمان بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقتضي الإيمان بكل ما جاء به من الكتاب والسنة ألفاظها ومعانيها، فلا يتمّ الإيمان به إلا بذلك، وكل من كان أعظم علما بذلك وتصديقا واعترافا وعملا كان أكمل إيمانا.

[الشرح]

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه.

يدخل في الأصل الثاني من أصول الدين الذي هو وجوب الاتباع للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –يدخل فيه– وجوب الإيمان بالكتب المنزلة، التي جاء ذكرها في الفرقان الذي أُنزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ ذكر الكتب المنزلة، ذكر بعضها بأسمائها كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى، وذكر بقية الكتب على سبيل الإجمال؛ لأنه ما من رسول إلا أنزل الله عليه كتابا، فقال سبحانه: ﴿**رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ**﴾[النساء:١٦٥]، وقال: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**﴾[غافر:٧٨]، فيجب الإيمان بكل رسول وكل نبي، كل رسول أرسله الله برسالة إلىٰ قومه، ويجب الإيمان بكل نبي بعثه الله تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ، وكل

---

(١) السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني برقم (١٥٧)، وقال: رواه ابن منده في التوحيد بإسنادين أحدهما على شرط الشيخين.

كتاب أنزله الله عز وجل داخل في الإيمان برسالة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يتم إيمان عبد إلا بذلك، والإيمان بالكتب المنزلة ركن من أركان الإيمان الستة، التي من استكملها استكمل الإيمان، ومن جحد ركنا واحدا منها كفر، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تَعَالَىٰ.

[المتن]

والإيمان بالملائكة والقدر داخل في هــٰذا الأصل العظيم.

[الشرح]

كذلك يدخل في الإيمان بنبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيمان بما جاء به من أصول الدين وفروعه وحقوقه ومكملاته.

ومن الأصول الإيمان بالملائكة الكرام، وأنهم خلق من خلق الله عز وجل؛ من أعظم خلق الله، خلقهم الله من نور، وهم عالم غيبي، لا نراهم ولا نشاهدهم؛ ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر صفاتهم في القرآن الكريم، وذكر صفاتهم على لسان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك.

فكم من آية في القرآن فيها بيان صفة الملائكة الكرام، صفات المدح، وصفات القوة، وصفات الغلظة على أعداء الله، وصفات الرحمة بأولياء الله، قال الله عز وجل ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ أي الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)﴾[غافر:٧-٩]، هــٰذه رأفة الملائكة بعباد الله المؤمنين؛ يستغفرون لهم وهم يعلمون، العالم يعلم أن اللائكة تستغفر لأهل الإيمان عموما، والجاهل قد لا يعلم؛ ولكن الملائكة تستغفر لمن لا يعلم حتى من المؤمنين، تستغفر لهم.

وكذلك وصفهم الله بالغلظة على أعداء الله قال في وصف النار: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ ووصفهم بأكمل الطاعة ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾[التحريم:٦]، ووصفهم

بالجد والاجتهاد في العبادة، كما في قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠)﴾[الأنبياء:٢٠]، يعني لا يملّون ولا يسأمون، فمنهم الركّع، ومنهم السّجّد، ومنهم القيام، حتى يبعث الله الخلائق.

فالإيمان بوجودهم ركن من أركان الإيمان الستة، من كذب بهم كفر، ومن جحدهم فهو كافر، من أهل الفلسفة الذي لا يعتبرون الملائكة عالم مخلوق كغيره من المخلوقات.

فالإيمان بهم داخل في الإيمان بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه جاء بالنصوص التي تدل على وجودهم، وأنهم خلق من خلق الله، وأن الله أعطاهم من القوة ما لم يعط أحدا.

لما وقع قوم لوط في الجريمة المنكرة اللواط -إتيان الذكران من العالمين- غضب الله عليهم، وأرسل جبريل لينتقم منهم، أرسل جبريل فرفع القرى وأهلها ومن فيها وما فيها إلىٰ عنان السماء على طرف جناحه، وكانت قرى متعددة -أكثر من عشرين قرية- رفعهم على طرف جناح من أجنحته حتى بلغوا عنان السماء، ثم قلبها، قلب القرى وجعل عاليها سافلها بأمر الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، هؤلاء الخلق العظام الذين أعطاهم الله هـٰذه القدرة والقوة، هم أهل رحمة على المؤمنين على أهل الصلاة والصيام، وقبل ذلك عقيدة التوحيد، وأهل غلظة على أعداء الله، وأهل طاعة لله بأن يرحموا من يشاء ويكونون عذابا على من يشاء، ومن كثرتهم قال الله في حقهم: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢)﴾[الفجر:٢٢]، أي صفا بعد صف يحيطون بعالم الإنس والجن؛ بل بجميع مخلوقات الأرض.

.. فلا ينقل أحد، قد أحاط الله عز وجل بهم بهذا الجند العظيم -الملائكة- ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[المدثر:٣١]، أي ملائكة الله عز وجل.

قال: (**والإيمان بالملائكة والقدر داخل في هـٰذا الأصل العظيم**).

الإيمان بالقدر داخل في الإيمان بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإيمان بما جاء به جملة وتفصيلا، والمراد بالقدر هو تقدير الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ للخير والشر، ولجميع ما يشاء في عالم الدنيا والبرزخ والآخرة، فكل شيء يقع فهو بقدر الله وقضائه، والمخلوق سبب من الأسباب، فلا يقع إلا ما قدره الله وقضاه، ولا ينصرف شيء من الخير أو الشر إلا بقضاء الله وقدره.

فالإيمان بالقدر ركن من أركان الله الستة، من كذب به كفر كفرا أكبر، لذا قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)﴾[القمر:٤٩]، وقال عز وجل: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾[الفرقان:٠٢]، وقال سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٨)﴾[الرعد:٠٨]، إذن فلا يخرج

شيء من مثاقيل الذر عن قدر الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، ولا يعزب عن علمه؛ بل الله هو مقدره، وهو العالم به، وهو المحيط بكل شيء ذاتا وصفات، وجميع الأعمال التي قدّرها الله عز وجل قدّرها في الأزل؛ يعني قضاها وكتبها في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما ثبت في الحديث،[1] فتأتي الأقدار كلها حتى الشوكة التي يُشاكها الإنسان تأتي في الوقت الذي قدرها الله أن تكون لا تنصرف لا تتقدم لا تتأخر، الآجال والأرزاق والأمراض والفقر وجميع الأحداث الصغار والكبار قد جرى بها القلم، ولابد أن تكون كما جرى بها القلم، وإنما أمر المكلفون بفعل الأسباب؛ أسباب الخير يفعلوها، وأمروا بترك أسباب الشر؛ من أجل أن يقيهم الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ الشر؛ إذ أن الأسباب من شرع الله ومن قدر الله، فيجب عملها والاعتماد على الله عز وجل، والإيمان بأن كل ما جرى به القلم لابد أن يكون، وكل ما وقع من العباد فهو بقدر من الله عز وجل.

غير أن القدر الذي قدره الله وقضاه لا يكون عذرا للعباد يفعلون المعاصي، ويتركون الطاعات، لا عذر لهم أن يحتجوا بالقدر؛ أبدا لأن الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية وتعاطيها وترك الطاعة، ثم يحتج بالقدر، هـٰذا من فعل المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾[الأنعام:١٤٨]، احتجاجا بالقدر؛ بل القدر يُحتج به في محله، وفعل الطاعات والمعاصي؛ الطاعات يثاب عليها العباد والمعاصي يعاقبون عليها، وهم فعلوها بأقدار الله؛ لكن فعلهم للمعصية وإن كان بقدر لا يُعفيهم من العقوبة إلا من شاء الله أن يرحمه. والله أعلم.

سؤال (٠١): هنا قال: يجب (**معرفة جميع ما جاء به من الشرع**) أي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (**جملة وتفصيلا**)، ما تعليقكم؟

الجواب: يعني ما جاء على سبيل الإجمال من الكتب المنزلة والرسل المرسلة هـٰذه جملة، والتفصيل ما جاء به النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من التكاليف الإيمان، أركان الإيمان وأركان الإسلام وركن الإحسان، الحلال والحرام والأحكام، والحدود، هـٰذه مفصلة.

۞۞۞۞

---

(1) **مسلم**: كتاب القدر ، باب حجاج آدم موسىٰ عليهما السلام، حديث رقم (٢٦٥٣).

[المتن]

ومن تمام الإيمان به أن يُعلم أن ما جاء به حق لا يمكن أن يقوم دليل عقلي أو حسي على خلافه، كما لا يقوم دليل نقلي على خلافه، فالأمور العقلية أو الحسية النافعة تجد دلالة الكتاب والسنة مثبتة لها حاثة على تعلمها وعملها، وغير النافع من المذكورات ليس فيها ما ينفي وجودها وإن كان الدليل الشرعي ينهى ويذم الأمور الضارة منها.

ويدخل في الإيمان بما جاء به الرسول بل وسائر الرسل:

الأصل الثالث: الإيمان باليوم الآخر

فكل ما جاء به الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت فإنه من الإيمان باليوم الآخر: كأحوال البرزخ، وأحوال يوم القيامة، وما فيها؛ من الحساب، والثواب، والعقاب، والشفاعة، والميزان، والصحف المأخوذة باليمين والشِّمال، والصراط، وأحوال الجنة والنار، وأحوال أهلهما، وأنواع ما أعد الله فيهما لأهلهما إجمالا وتفصيلا.

فكل ذلك داخل في الإيمان باليوم الآخر.

[الشرح]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، على آله وصحبه أجمعين.

قال المؤلف رحمه الله: (**ومن تمام الإيمان به أن يُعلم أن ما جاء به حق**) أي من تمام الإيمان بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التصديق الجازم الذي لا ريب فيه ولا شك يعتريه أن كان ما جاء به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أصول الدين وفروعه وحقوقه ومكمِّلاته حق وصدق يجب تصديقه والإيمان به، والعمل بمقتضاه وفق مراد الله وراد رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ثم قال: (**لا يمكن أن يقوم دليل عقلي أو حسي على خلافه**) يعني أن الأدلة العقلية والحسية متفقة مع الأدلة الشرعية على أنّ ما جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق وصدق، يجب الإقرار به والعمل بمقتضاه، على وفق الشّريعة، (**كما لا يقوم دليل نقلي على خلافه**) يعني ليس هناك دليلا من الكتاب والسنة أو أثر من آثار الأسلاف الصالحين على خلاف ما اتفق عليه العقل والنقل والحس على أن ما جاء به محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حق وصدق.

ثم قال: (**فالأمور العقلية أو الحسية النافعة تجد دِلالة الكتاب والسنة مثبتة لها حاثة على تعلمها وعملها**) قال: (**وغير النافع من المذكورات ليس فيها ما ينفي وجودها**) أي وجود ما ثبت ذكره من الأدلة، (**وإن كان الدليل الشّرعي ينهى ويذم الأمور الضارة منها.**) الأدلة الشرعية تنفي كل ضار وتنهى عن الوقوع فيه، ولما كان أركان الإيمان بعضها متصل ببعض قال المؤلف: (**ويدخل في الإيمان بما جاء به الرسول بل وسائر الرسل: الأصل الثالث: الإيمان باليوم الآخر**) يعني الإيمان باليوم الآخر داخل في الإيمان بما جاء به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأحكام والأوامر والنواهي والأخبار، يدخل في ذلك الإيمان باليوم الآخر.

والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان الستة، من كذّب به فقد كفر، ومن شك فيه فقد كفر، لقول الله عز وجل: ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧)**﴾[التغابن:٠٧]، وكقوله عز وجل: ﴿**وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا**﴾[النحل:٣٨]، وغيرها من الآيات كثير في البعث.

وسمي باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده؛ بل هو اليوم الذي يستقرّ فيه أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، وهو اليوم الذي تقع فيه الأمور التي جاء ذكرها في الكتاب والسنة، وذكر المؤلف بعضا منها في هـٰذا الأصل الثالث.

قال: (**فكل ما جاء به الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت**)، الموت إذا فارقت الروح الجسد انتقلت من الحياة الدنيوية إلىٰ الحياة البرزخية، ثم تكون أمور جاء ذكرها في الكتاب والسنة من محاسبة الناس من سؤالهم في قبورهم عن الأصول الثلاثة: الإيمان بالرب والدين والرسول؛ لأن ذلك داخل في الإيمان باليوم الآخر، وكل ما جرى في الحياة البرزخية من نعيم وعذاب، وجب الإيمان به؛ لأنه من الإيمان باليوم الآخر، فالحياة البرزخية إما نعيم لأهل الإيمان وإما عذاب لأهل الفسق والطغيان.

قال: (**كأحوال البرزخ، وأحوال يوم القيامة، وما فيها؛ من الحساب، والثـواب، والعقـاب، والشفاعة، والميزان...**) إلىٰ آخره ما ذكر، كل ذلك يدخل في الإيمان باليوم الآخر، فيوم القيامة لـه أحوال منها وقوف الناس في صعيد واحد حفاة عراة غرلا كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنكم**

محشورون إلىٰ الله حفاة عراة غرلا»[١]،[٢] ويجري يوم القيامة الحساب؛ أي يحاسب الله الخلائق بأعمالهم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩)﴾[النور:٣٩].

(**والثواب، والعقاب**) ذكر الثواب جاء في القرآن، والعقاب كذلك، الثواب لأهل الطاعات والذين عملوا الصالحات، والعقاب لأهل المعاصي الذين عصوا الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ وأتوا بأسباب العذاب.

(**والشفاعة**) بجميع أنواعها، الشفاعة الخاصة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والشفاعات العامة، وعلى سبيل الخصوص الشفاعة في عصاة الموحدين، تلكم الشفاعة التي أنكرها أهل البدع كالخوارج والمعتزلة الذين أنكروا الشفاعة في عصاة الموحدين، وهي ثابتة بنص الكتاب والسنة بقول الله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥]، وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[الأنبياء:٢٨]، وقد رضي الله الشفاعة في أهل التوحيد الذين ما ماتوا على الكفر الأكبر ولا الشرك الأكبر ولا النفاق الاعتقادي، ولم يموتوا مرتدين عن دينهم؛ ولكن حملوا معاصي من الذنوب، هم تحت مشيئة لله وتدركهم شفاعة الشافعين رحمة الله وفضله.

(**والميزان**) الذي يكون يوم القيامة توزن به الأعمال، ذكره الله في القرآن بقوله: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ (٩)﴾[الأعراف:٨-٩]، وقوله عز شأنه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)﴾[الأنبياء:٤٧]. فمن أنكره فهو مبتدع ضال، وأنّ للميزان كفتين كفة توضع فيها الحسنات وأخرى توضع فيها السيئات؛ بل يوزن العامل وصحيفته وعمله على القول الصحيح، أن الوزن للجميع.

---

(١) **البخاري**: كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، حديث رقم (٦٥٢٧).
مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (٢٨٥٩).
(٢) انتهى الشريط الثاني.

(والصحف المأخوذة باليمين والشِّمال) مما يقع في يوم القيامة، وقد ذكر الله عز وجل ذلك في آيات كثيرة، منها قول الله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣)﴾ هي الصحف ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)﴾[الإسراء:١٣-١٤]، إما أن يكون قد رجَحت الحسنات بالسيئات، فيأخذ صاحبها كتابه باليمين، والعكس إن رجحت السيئات بالحسنات فإنه يأخذ كتابه بالشمال، قال عز وجل: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠)﴾[التكوير:١٠]، أي تطايرت وانتشرت في أيدي أهلها، ومثل ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣)﴾، يقال لأهلها: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)﴾[الحاقة:١٩-٢٤]، أي أيام الدنيا أيام العمل.

وفي أصحاب الشمال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ (٢٥)﴾[الحاقة:٢٥]، تمنى أنه ما أعطي كتابه، لما فيه ما يسوؤه من السيئات والمنكرات التي أحصاها الله عز وجل ودونها الكرام الكاتبون، يقول: ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧)﴾[الحاقة:٢٥-٢٧]الآيات.

(والصراط) جاءت به السنة؛ بل وجاء به القرآن الكريم، وأنه صراط حقيقي حسي تعبر الخلائق عليه بقدر أعمالهم، وقد دل عليه قول الله عز وجل: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١)﴾[مريم:٧١]، فالورود فسره جمهور أهل العلم بالمرور على الصراط، بدليل ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)﴾[مريم:٧٢] ينجو المتقون في عبورهم على الصراط، وتحبس النار أهل الإجرام يتساقطون فيها بحسب أعمالهم.

فالصراط ينصب على متن جهنم، أي على ظهر جهنم، والخلائق تعبر إلى الجنة والنار على هـٰـذا الصراط، فأهل الجنة يتجاوزون الصراط وينجون منه إلىٰ الجنة، أهل النار تحبسهم كلاليب في الصراط تحبسهم فيلقون في النار بحسب أعمالهم.

(وأحوال الجنة والنار) وأحوال الجنة ما فيها من النعيم من المآكل والمشارب والمساكن والمراكب والزوجات الحسان والخلود الدائم، وفيها كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ

وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١)﴾[الزخرف:٧١]. والنار كما وصفها الله عز وجل ووصفها الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وبيان أحوال أهلها أهل النار، وبيان أحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار، أهل الجنة يُنعمون فيها، وأهل النار يعذبون فيها، وعذابهم بحسب جرائمهم، ونعيم أهل الجنة بحسب أعمالهم؛ لأنهم يتفاضلون في النعيم.

(**وأنواع ما أعد الله فيهما**) أي في الجنة والنار (**لأهلهما إجمالا وتفصيلا**)، (**إجمالا**) نعيم مقيم، (**وتفصيلا**) هو الذي ذكره الله بالتفصيل من المآكل اللذيذة والفواكه العظيمة والزوجات الحسان والخدم والولدان والقصور العالية والغرف الناعمة، وكل ذلك ذكره الله عز وجل، وذكره الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأنه حق وحقيقة لا شك في ذلك أبدا، فكل ذلك داخل في الإيمان باليوم الآخر؛ أي ما مضى ذكره من أحوال يوم القيامة من الحساب والثواب والعقاب والشفاعة والميزان والصحف المأخوذة باليمين والشمال، والصراط، وأحوال الجنة والنار، وأحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار، وما أعده الله فيهما لأهلهما إجمالا وتفصيلا (**فكل ذلك داخل في الإيمان باليوم الآخر**) أي يجب الإيمان به كما يجب الإيمان باليوم الآخر. والله أعلم.

سؤال (٠٢): الذي يكذِّب بشيء من هـٰذه الفروع، يكذب بالميزان أو يكذب بالصراط..، هل يعتبر مكذبا باليوم الآخر، هل يكفر؟

الجواب: الأمور فيها تفصيل، لا يُحكم بالكفر إلا على من حكم عليه القرآن أو السنة الصحيحة؛ لكن من كذّب شيئا مما ثبت وهو معلوم من الدين بالضرورة كفر، كذّب ما جاء به القرآن، كذّب ما صحّت به السنة، بدون وجه للتأويل له يكفر.

[المتن]

الأصل الرابع: مسألة الإيمان.

فأهل السنة يعتقدون ما جاء به الكتاب والسنة مِن أنّ الإيمان هو تصديق القلب المتضمن لأعمال الجوارح، فيقولون: الإيمان اعتقادات القلوب وأعمال الجوارح وأقوال اللسان، وأنها

كلها من الإيمان، وأن من أكملها ظاهرا وباطنا فقد أكمل الإيمان، ومن انتقص شيئا منها فقد انتقص من إيمانه.

وهـٰذه الأمور بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إلـٰه إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

ويرتبون على هـٰذا الأصل أنّ الناس في الإيمان درجات: مقرّبون، وأصحاب يمين، وظالمون لأنفسهم. بحسب مقاماتهم من الدِّين والإيمان. وأنه يزيد وينقص فمن فعل محرما أو ترك واجبا نقص إيمانه الواجب ما لم يتب إلىٰ الله.

ويرتبون على هـٰذا الأصل أن الناس ثلاثة أقسام:

منهم من قام بحقوق الإيمان كلها، فهو المؤمن حقا.

ومنهم من تركها كلها، فهـٰذا كافر بالله تعالىٰ.

ومنهم من فيه إيمان وكفر، أو إيمان ونفاق، أو خير وشر، ففيه من ولاية الله واستحقاقه لكرامته بحسب ما معه من الإيمان، وفيه من عداوة الله واستحقاقه لعقوبة الله بحسب ما ضيعه من الإيمان.

ويرتبون على هـٰذا الأصل العظيم أنّ كبائر الذنوب وصغائرها التي لا تصل بصاحبها إلىٰ الكفر، تنقص إيمان العبد من غير أن تُخرجه من دائرة الإسلام، ولا يخلد في نار جهنم ولا يطلقون عليه الكفر كما تقوله الخوارج، أو ينفون عنه الإيمان كما تقوله المعتزلة؛ بل يقولون: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فمعه مطلق الإيمان، وأما الإيمان المطلق فينفى عنه.

وبهذه الأصول يحصل الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسنة.

ويترتب على هـٰذا الأصل أن الإسلام يجبّ ما قبله، وأن التوبة تجبّ ما قبلها، وأن من ارتدّ ومات على ذلك فقد حبط عمله، ومن تاب، تاب الله عليه.

[الشرح]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قول المؤلف رحمه الله: (**الأصل الرابع: مسألة الإيمان**) يعني الكلام على الإيمان.

والإيمان معناه في اللغة: **التصديق بدون شك ولا تردد.**

وفي الاصطلاح: **الإيمان نطق باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي**. وهـٰذا التعريف تعريفه عند أهل السنة والجماعة السلف الصالح وأتباعهم.

وهو ما أراده المؤلف بقوله: (**فأهل السنة يعتقدون ما جاء به الكتاب والسنة**) أي ما جاء في الكتاب والسنة من أن الإيمان هو تصديق القلب المتضمن لأعمال الجوارح.

ومن قواعدهم قولهم: الإيمان اعتقادات القلوب، وأعمال الجوارح، وأقوال اللسان.

وهـٰذه التعريفات معناها واحد، وهو أن الإيمان اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية.

فجميع الأقوال والأعمال داخلة في مسمى الإيمان، فمن أكملها -أكمل الأقوال والأعمال باطنا وظاهرا- فقد أكمل الإيمان، من انتقص شيئا منها -أي أقوال اللسان وأقوال القلب وأعمال الجوارح والقلوب- من انتقص شيئا منها فقد اُنتقص من إيمانه بحسب ما فرّط.

ثم بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصال الإيمان بقوله: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة** -وفي رواية **وستون شعبة**- **أعلاها**» أي أعلى الشعب «**قول لا إلـٰه إلا الله**»[1] كلمة الإخلاص التي تدل على النفي والإثبات، نفي جميع ما يعبد من دون الله، فلا يستحق من الألوهية شيئا ولا من العبادة شيئا، (**وإلا الله**) تثبت العبادة لله وحده لا شريك له بجميع أنواعها، وهي أعلى شعب الإيمان، ومن فاتته هـٰذه الشعبة فليس له في الإيمان حظ، «**وأدناها**» أي أدنى شعب الإيمان «**إماطة الأذى عن الطريق**»، يميط الإنسان الأذى عن الطريق احتسابا للأجر، وطلبا للمثوبة، والأذى كالحجر والشوكة والعظم وكل ما يؤذي الناس فيه الأجر الكبير، «**والحياء شعبة من الإيمان**» أي خصلة من خصال الإيمان، الحياء المحمود والممدوح فاعله، وأعظم الحياء الاستحياء من الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، والاستحياء من الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ الاستحياء منه أن يفقد العبد حيث أمره، أو يراه حيث حرّم عليه ونهاه.

وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**استحيوا من الله حق الحياء**» قالوا: إنا لنستحيي من الله حق الحياء. قال: «**من استحيا من الله حق الحياء، حفظ الرأس وما حوى، والبطن وما**

([1]) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، حديث رقم (٣٥).

وعى، وذكر الموت والبِلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا»[1] من فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء.

وبين الأعلى من شعب الإيمان والأدنى شعب متعددة منها الفرائض ومنها الواجبات ومنها المستحبات وقوله: (**ويرتبون على هـٰذا الأصل أنّ الناس في الإيمان درجات**) لاشك أن الناس في الإيمان ليسوا سواء، وهم درجات، وقد ذكر الله هـٰذه الدرجات في سورة فاطر في قول الله تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢)**﴾[فاطر:٣١]، هـٰذه الأقسام الثلاثة؛ أقسام الناس، الذين تابعوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآمنوا بما جاء به على تفاوت بينهم، وعلى تفاوت في درجاتهم.

فالمقربون أعلى الناس درجة، وهم قوم أدّوا الفرائض والواجبات، وتقرّبوا إلىٰ الله بالمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، فهم مقرّبون في أعلى المنازل؛ لأنهم من أهل الإيمان الكامل من أهل الإيمان المطلق، الذين ذكرهم الله عز وجل في قوله: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)**﴾[الأنفال:٢-٤].

يليهم في الرّتبة **أصحاب اليمين**، وهم قوم أدوا الفرائض والواجبات، وابتعدوا عن المحرمات، ونزلت مترلتهم عن المقرّبين؛ لأن المقربين أتوا بالمستحبات مع الواجبات والمفروضات وتركوا المكروهات مع المحرمات، وهؤلاء اقتصروا على فعل الفرائض والواجبات وابتعدوا عن المحرمات. فصارت مترلتهم أقل من مترلة المقربين ولكنهم على خير عظيم، لا تمسهم النار ولا يسمعون حسيسها.

والقسم الثالث **الظالمون لأنفسهم** وهم قوم أسرفوا على أنفسهم، وأكثروا من الذنوب، أقوالها وأفعالها؛ ولكنهم من أهل التوحيد، لم تخرجهم ذنوبهم من دائرة الإسلام، فهم خلطوا عملا صالحا

---

[1] **مسند أحمد** (**تحقيق أحمد شاكر**): مسند ابن مسعود، حديث رقم (٣٦٧١)، قال أحمد شاكر: إسناده ضعيف.
سنن الترمذي: باب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٢٤)، حديث رقم (٢٤٥٨)، قال الشيخ الألباني: حسن.

وآخر سيئا، وعظمت عليهم ذنوبهم من كبائر الذنوب وصغائرها، فهم تحت المشيئة الإلهية؛ إن شاء الله عذبهم وطهّرهم من ذنوبهم وأدخلهم الجنة، وإن شاء غفر لهم وطهرهم بأمور وعقوبات دون النار وأدخلهم الجنة.

والمقصود أن مآلهم إلىٰ الجنة ولاشك.

ومن هنا نفهم أن أهل الإيمان يتفاوتون في رتبهم ودرجاتهم إلىٰ: مقربين، وأصحاب يمين، وظالمين لأنفسهم.

ويعتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص؛ بأي شيء يزيد وبأي شيء ينقص؟ يزيد بالطاعات أقوالها وأفعالها ظاهرها وباطنها؛ من فرائض وواجبات ومستحبات، وينقص بالمعاصي أقوالها وأفعالها ظاهرها وباطنها، الكبائر والصغائر.

وذكر المؤلف رحمه الله قوله: (**ويرتبون**) أي أهل السنة الجماعة (**على هـٰذا الأصل**) الذي سبق ذكره (**أن الناس ثلاثة أقسام:**

منهم من قام بحقوق الإيمان كلها) يعني كاملة؛ فرائض واجبات ومستحبات، وترك للمحرمات وللمكروهات (**فهو المؤمن حقا**) أي كامل الإيمان وهم المقربون.

(**ومنهم من تركها**) ترك حقوق الإيمان (**كلها**)، ولم يدخل الإيمان في قلبه، ولم يسلم وجهه لله أبدا (**فهـٰذا كافر بالله تعالىٰ.**) لا حظ له في رحمة الله ولا نصيب له في مغفرته إن مات على كفره، سواء كان كافرا وثنيا أو يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا، أو منافقا نفاقا اعتقاديا، أو ملحدا إلحادا يخرجه من ملة الإسلام.

(**ومنهم من فيه إيمان وكفر، أو إيمان ونفاق، أو خير وشر، ففيه من ولاية الله واستحقاقه لكرامته بحسب ما معه من الإيمان، وفيه من عداوة الله واستحقاقه لعقوبة الله بحسب ما ضيعه من الإيمان.**) معنى ذلك أنه قد يجتمع في المسلم إيمان وكفر، والمراد بالكفر الكفر الأصغر؛ الكفر العملي الذي لا يخرج من دائرة الإسلام، الكفر الذي دل عليه قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض**»،[1] ودل عليه قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أربع في أمتي**

([1]) **البخاري**: كتاب العلم، باب الفتن، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا ترجعوا ..))، حديث رقم (٧٠٧٧).

=

هم بهن كفر»[١] إلىٰ غير ذلك من النصوص، فيجتمع في الإنسان الكفر العملي والإسلام، فلا يكون مؤمنا كامل الإيمان، ولا يكون كافرا خارجا من ملة الإسلام، ويكون في المسلم إيمان ونفاق، والمراد بالنفاق النفاق العملي لا النفاق الاعتقادي، النفاق العملي الذي دل عليه قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أربع من كن فيه كان منافقا خالصا**» أي نفاقا عمليا «**إذا حدّث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر**» وفي رواية «**إذا عاهد غدر**»[٢] نفاق عملي لا يخرجه من الإسلام؛ ولكن ينقص الإيمان.

وهكذا يكون في الإنسان فسق، ويكون معه إيمان، يكون فاسقا بما ارتكب من الكبائر، كمن زنا أو سرق أو شرب الخمر أو تعاطى المخدرات، أو ضيع شيئا من الواجبات؛ تساهل فيها[٣]

... مطلق الإيمان لا الإيمان المطلق، وهـٰذا التقسيم مأخوذ من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والله أعلم.

❁❁❁❁

[المتن]

ويرتبون على هـٰذا الأصل العظيم أنّ كبائر الذنوب وصغائرها التي لا تصل بصاحبها إلىٰ الكفر، تنقص إيمان العبد من غير أن تُخرجه من دائرة الإسلام، ولا يخلد في نار جهنم. ولا يطلقون عليه الكفر كما تقوله الخوارج، أو ينفون عنه الإيمان كما تقوله المعتزلة؛ بل يقولون: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فمعه مطلق الإيمان، وأما الإيمان المطلق فينفى عنه.

وبهذه الأصول يحصل الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسنة.

ويترتب على هـٰذا الأصل أنّ الإسلام يجبّ ما قبله، وأنّ التوبة تجبّ ما قبلها، وأنّ من ارتدّ ومات على ذلك فقد حبِط عمله، ومن تابَ تاب الله عليه.

=

مسلم: كتاب الإيمان، باب معنى قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا ترجعوا بعدي كفارا..))، حديث رقم (٦٥).

(١) **مسلم**: كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، حديث رقم (٩٣٤)، لكن لفظ (من أمر الجاهلية) في مكان كلمة (كفر).

(٢) **البخاري**: كتاب الإيمان، باب علامات المنافق، حديث رقم (٣٣، ٣٤).

مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، حديث رقم (٥٨، ٥٩).

(٣) انتهى الشريط الثالث.

ويرتِّبون أيضا على هـٰـذا الأصل صحة الاستثناء في الإيمان، فيصح أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله؛ لأنه يرجو من الله تعالىٰ تكميل إيمانه فيستثني بذلك، ويرجو الثبات على ذلك إلىٰ الممات فيستثني، من غير شك منه بحصول أصل الإيمان.

[الشرح]

الحمد لله رب العالمين، وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قوله رحمه الله: (**ويرتبون على هـٰـذا الأصل العظيم أنّ كبائر الذنوب وصغائرها التي لا تصل بصاحبها إلىٰ الكفر، تنقص إيمان العبد من غير أن تُخرجه من دائرة الإسلام، ولا يخلد في نار جهنم**) هـٰـذا الأصل الذي هو الأصل الرابع، من مباحثه أو من مسائله أنّ الذنوب صغائرها وكبائرها التي هي دون الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الاعتقادي، لا تُخرج من ووقع فيها الإسلام؛ ولكنها تكون سببا في نقص الإيمان، كما أنّ الوقوع فيها لا يكون مخلّدا في النار، وإنما يكون صاحب الكبائر تحت المشيئة الإلهية إن شاء الله عذبه بقدر ما جنى، وإن شاء عفا عنه ومآله إلى الجنة.

وأهل السنة والجماعة لا يطلقون الكفر على العصاة، الذين معصيتهم دون الإشراك بالله عز وجل والكفر به، وإنما يقولون في العاصي: فاسق بكبيرته مؤمن بما معه من الإيمان.

بخلاف الخوارج والمعتزلة، الخوارج والمعتزلة معتقدهم أن مرتكب الكبيرة خارج عن الإيمان.

فأما **الخوارج** فقالوا بكفره؛ مرتكب الكبيرة كالزنا والسرقة وشرب الخمر مع التوحيد والصلاة وسائر أركان الإسلام والإيمان، ترى طائفة الخوارج بأنه كافر، إذا وقع في الكبيرة، حلال الدم والمال في الدنيا، وخالد مخلد في النار في الآخرة.

لذا شرعوا في قتال أهل المعاصي، ورأوا بأنه جهاد في سبيل الله، سواء من الولاة أو من غيرهم حكموا عليهم بالكفر.

وأما **المعتزلة** فيختلفون عن الخوارج في الحكم الدنيوي، يخالفونهم فيقولون: أهل المعاصي في منزلة بين المنزلتين، لا هم من أهل الإيمان ولا هم من أهل الكفر في الدنيا، وأما في الآخرة فتتفق المعتزلة مع الخوارج أنّ من مات على كبيرة فهو خالد مخلد في النار، ويتشبثون بآيات من القرآن، يستدلون بها

كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[الجن:٢٣]. وعندهم أنّ من دخل النار لا يخرج منها.

وهو معتقد فاسد؛ لأنهم ينفون وينكرون الشفاعة؛ ينكرون شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عصاة الموحدين، وشفاعة الصالحين أجمعين؛ بل وفضل رب العالمين؛ لأن الله عز وجل جاء في الحديث القدْسي أنه يقول يوم القيامة: «**شفعت الملائكة، وشفعت الرسل، وشفع الصالحون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيخرج قوما من النار قد امتحشوا**» يعني صاروا حمما «**فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميم السيل**»[١] فإذا اكتملت أجساهم أعاد الله إليهم أرواحهم[٢] وأدخلهم الجنة، وأعطاهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فهاتان الطائفتان المعتزلة والخوارج ينكرون الشفاعة التي هي فضل من الله عز وجل وكرم عظيم ورحمة واسعة؛ لأهل الذنوب، والله عز وجل قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[الأعراف:١٥٦]، وأهل التوحيد معهم أصل التقوى. وقال النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»،[٣] فهم نبذوا هـٰـذه النصوص و لم يعملوا بها فضلوا عن سواء السبيل.

بل يقولون -أي أهل السنة والجماعة السلف الصالح وأتباعهم- بل يقولون: هو مؤمن بإيمانه أي مرتكب المعصية فاسق بكبيرته، لا يقولون كما قالت المعتزلة والخوارج، يقولون في العاصي مرتكب الكبائر الموحد المصلي؛ ولكنه ارتكب كبائر، إذا مات عليها بدون توبة يقولون في حقه: (أنه مؤمن بإيمانه) أي ما معه من الإيمان (وفاسق بكبيرته) فمعه مطلق الإيمان وليس معه الإيمان المطلق، وهو إشارة إلىٰ أن الإيمان ينقسم إلىٰ قسمين:

- مطلق إيمان.

---

(١) **البخاري**: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ ﴿وجوه يومئذ ناظرة(٢٢) إلىٰ ربها ناظرة﴾، حديث رقم (٧٤٣٩).

مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم (١٨٣).

(٢) بل في يوم القيامة يكون اتصال الروح بالجسد في أكمل اتصال فلا ينفصل عنها حتى نقول: إن الله عز وجل يعيدها إليهم؛ أي أرواحهم. والله أعلم.

(٣) **سنن الترمذي**: كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في الشفاعة، حديث رقم (٢٤٣٥). قال الشيخ الألباني: صحيح.

- وإيمان مطلق.

فالإيمان المطلق هو الإيمان الكامل.

ومطلق الإيمان يدخل فيه الإيمان الناقص بسبب كبائر الذنوب، وهو يشمل النوعين، فأما المؤمن الذي كمُل إيمانه فهو صاحب مطلق إيمان وإيمان مطلق.

قال: (**وبهذه الأصول يحصل الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسنة.**) نعم، من جمع نصوص الوعد والوعيد بما فيها نصوص الشفاعة، ونصوص حقائق الإيمان، والإسلام والإحسان من جمعها وفهمها حق الفهم، ونزّل كل نص مترلته، فإنه لا يضل كما ضلّت الخوارج والمعتزلة وغيرهم من فرق الابتداع؛ بل وُفِّق للجمع بين نصوص الكتاب والسنة فكمُل إيمانه فكمل إيمانه وسلم من موافقة أهل الضلال.

قال: (**ويترتب على هـٰذا الأصل أنّ الإسلام يجبّ ما قبله**) حق ثبت بذلك نص صحيح، بقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمرو بن العاص قال له: «**يا عمرو أما علمت أن الإسلام يجبّ ما قبله**»[1] أي يمحو الذنوب والخطايا، وهو أصل من أصول الدين، وقاعدة عظيمة من القواعد التي أخذت من السنة المطهرة.

(**وأنّ التوبة تجبّ ما قبلها**) لورود النصوص بذلك، من أذنب وتاب، تاب الله عليه وغفر ذنبه، دل على ذلك نصوص الكتاب والسنة، قال الله عز وجل: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٨٢)**﴾[طه:٨٢]، ولما ذكر الله عز وجل أهل الشرك والقتل الظلم والزنا ختم الآية بقوله: ﴿**إِلَّا مَن تَابَ**﴾، قال: ﴿**وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠)**﴾[الفرقان:٦٨-٧٠]، فمهما كانت الذنوب وتاب صاحبها توبة نصوحا مستكملة للشروط، فإن التوبة تجبّ ما قبلها.

---

[1] **مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين)** حديث رقم (١٧٧٠٥)، ووثق رجاله الهيثمي.

وقد ورد في الأثر «**التوبة تجب ما قبلها**»، وورد: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»؛[١] بل وزيادة على ذلك ما دلت عليه آية الفرقان ﴿**يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ أي مكان كل سيئة عملها يبدلها الله حسنة، وهٰذا هو ظاهر القرآن، لأن علماء التفسير اختلفوا في معنى التبديل، والذي عليه الجمهور هو ظاهر النص أن الله يبدل كل سيئة ندم عليها وتاب منها صاحبها حسنة، ويشهد لذلك ما ثبت أن رجلا يؤتى به يوم القيامة، وقد وقع في السيئات، فيحاسب ويرى له من الحسنات الشيء الكثير الذي ما عمله، فيقول: من أي لي هٰذه الحسنات؟ فيقال له: هٰذه سيئاتك التي تبت منها بدلها الله حسنات. وهو معنى الحديث. فقال: إن لي سيئات أخرى. لما رأى من فضل الله من تبديل السيئات حسنات.

وهو دليل على سعة رحمة الله تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ أنه لا يهلك على الله إلا هالك، إلا شقي لا خير فيه لسعة أبواب الرحمة والمغفرة من الله تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ الذي يحب أن يرحم عباده إلا من أبى، بحيث لم يأت بأسباب الرحمة، هٰذا هو الذي يأمن، ما أتى بأسباب الرحمة وهي التوحيد والصلاة، وما كان من أركان الإيمان.

ومن قواعد أهل السنة والجماعة (**وأنّ من ارتدّ ومات على ذلك فقد حبِط عمله، ومن تابَ تاب الله عليه.**) وهٰذا لا نزاع فيه، من أكرمه الله بالإسلام وارتد عن الإسلام؛ ترك الإسلام واعتنق دينا من أديان الكفار؛ اليهودية أو النصرانية أو المجوسية أو الوثنية أو ألحد إلحادا يُخرج من الملة، يسمى مرتدا عن دينه، والحكم في المرتد في الدنيا والآخرة:

حكمه في الدنيا القتل يقتله الوالي المسلم لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من بدّل دينه فاقتلوه**»[٢] سواء رجلا أو امرأة، المهم مكلف.

وأنّ عقوبته في الآخرة النّار خالدا فيها مخلدا.

هٰذا المرتد، وقد بوّب الفقهاء على جريمته بابا في كتب الفقه، باب حكم المرتد، أي ما يُفعل به في الدنيا وما يُفعل به في الآخرة.

---

(١) **سنن ابن ماجه**: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة ، حديث رقم (٤٢٥٠) قال الشيخ الألباني: حسن.

(٢) **البخاري**: كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله ، حديث رقم (٣٠١٧).

(**ومن تابَ**) ارتد ثم تاب؛ يعني رجع إلى الإسلام وقد حصل هذا في عصر النبوة، حصل هــٰذا، منهم من ارتد ثم أسلم وحسن إسلامه فبقي لهم شرف الصحبة، وأما من مات مرتدا، ولو كان قد عمل قبل ذلك من الصالحات ما لا يحصى لأحد فإن عمله يكون حابطا كله؛ لأنه هو الذي ظلم نفسه (**ومن تابَ تاب الله عليه**).

(**ويرتِّبون أيضا على هــٰذا الأصل صحة الاستثناء في الإيمان**) أي أهل السنة والجماعة يرتبون على الأصل المتقدم ذكره صحة الاستثناء في الإيمان، فيصح أن يقول المكلف المسلم: أنا مؤمن إن شاء الله.

وخلاصة الكلام في الاستثناء أن الناس فيه على ثلاثة مذاهب:

- منهم من رآه جائزا مطلقا.
- ومنهم من رآه محرما مطلقا.
- ومنهم من رأى التفصيل.

والتفصيل هو ما أشار إليه المؤلف هنا بقوله: (**فيصح أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله؛ لأنه يرجو من الله تعالىٰ تكميل إيمانه فيستثني بذلك، ويرجو الثبات على ذلك إلىٰ الممات فيستثني، من غير شك منه بحصول أصل الإيمان.**) معنى هــٰذا الكلام أن من استثنى وقال: أنا مؤمن إن شاء الله غير شاك في إيمانه ولا متردد في إيمانه فاستثناؤه جائز لأنه يريد أنه ليس مؤمنا كامل الإيمان، كإيمان الملائكة والرسل وأهل الإيمان الكامل، أو أنه يرجو من الله عز وجل أن يختم له بخاتمة الإيمان. فيقول: إن شاء الله أو أنه يريد ليس إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل والملائكة؛ ولكنه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ويؤمن بما أخبر الله عز وجل وأخبر به رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهو يستثني بذلك أن إيمانه ليس كإيمان الملائكة والأنبياء والرسل؛ لذا يصح للإنسان أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، فاستثناؤه ينصب على أنه يرجو الثبات على الإيمان، وأنه يرجو من الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ تكميل إيمانه فيستثني لذلك.

أما من استثنى وهو شاك في إيمانه أو متردد فهــٰذا هو الحرام، لا يجوز بحال من الأحوال والله أعلم.

۞۞۞۞

[المتن]

ويرتِّبون أيضا على هـٰذا الأصل أن الحب والبغض أصله ومقداره تابع للإيمان وجودا وعدما وتكميلا ونقصا، ثم يتبع ذلك الوَلاية والعداوة، ولهذا من الإيمان الحب في الله والبغض في الله والولاية لله والعداوة لله.

ويترتّب على الإيمان ولا يتم إلا بأن يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه.

ويترتّب على ذلك أيضا محبة اجتماع المؤمنين، والحث على التآلف، والتحابب، وعدم التقاطع، ويبرأ أهل السنة والجماعة من التعصبات والتفرق والتباغض. ويرون هـٰذه القاعدة من أهم قواعد الإيمان، ولا يرون الاختلاف في المسائل التي لا توصل إلىٰ كفر أو بدعة موجبة للتفرق.

ويترتب على الإيمان محبة أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحسب مراتبهم، وأن لهم من الفضل والسوابق والمناقب ما فضلوا فيه سائر الأمة، ويدينون بمحبتهم ونشر فضائلهم، ويمسكون عما شجر بينهم، وأنهم أوْلى الأمة بكل خصلة حميدة، وأسبقهم إلىٰ كل خير وأبعدهم عن كل شر، ويعتقدون أن الأمة لا تستغني عن إمام يقيم لها دينها ودنياها، ويدفع عنها عادية المعتدين، ولا تتم إمامته إلا بطاعته في غير معصية الله تعالىٰ.

ويرون أنه لا يتم الإيمان إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد، وإلا باللسان، وإلا فبالقلب على حسب مراتبه الشرعية وطرقه المرعية.

وبالجملة فيرون القيام بكل الأصول الشرعية على الوجه الشرعي من تمام الإيمان والدين.

[الشرح]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يقول رحمه الله تعالىٰ: (**ويرتِّبون**) أي أهل السنة والجماعة؛ السلف الصالح وأتباعهم (**على هـٰذا الأصل**) الذي هو الأصل الرابع مسألة الإيمان وما يتعلق به من المباحث، يرتبون عليه (**أن الحب والبغض أصله ومقداره تابع للإيمان**) المراد بالحب الحب في الله عز وجل، والمراد بالبغض هنا البغض في الله، أي الحب في الله والبغض في الله، بمعنى أنك تحب من أحبه الله، وتبغض من أبغضه الله.

والحب والبغض يقدر بحسب ما في العبد من موجبات المحبة وموجبات البغض، فأصحاب الطاعة الله يحبهم، فأنت تحبهم، سواءً ممن يمتّون إليك بصلة، أو ممن لا تعرفهم، فالنّسب بينك وبينهم والصلة: الطاعة، فالمطيع وجبت محبته لطاعته لربه لأنه أحبه، والعاصي وجب بغضه بقدر ما فيه من معصية لأن الله يبغضه بسبب معصيته.

قال: (**ومقداره**) أي الحب والبغض (**تابع للإيمان وجودا وعدما**) فإذا كان الإيمان موجودا فإن صاحبه يطبّق حكم الحب والبغض تطبيقا عمليا، وإن كان الإيمان معدوما فإن صاحبه لا يطبق هـٰذه القاعدة وهـٰذا الأصل العظيم الذي هو الحب في الله والبغض في الله (**وتكميلا ونقصا**) (**تكميلا**) للإيمان لمن هو ناقص الإيمان، (**ونقصا**) بسبب الفسق والمعصية. (**ثم يتبع ذلك الوَلاية والعداوة**) الوَلاية أي من هو ولي لله من أهل طاعته ومتابعة رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، الذين جمعوا بين الإيمان والتقوى كما في قول الله عز وجل: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ (٦٣)**﴾[يونس:٦٢-٦٣]، فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو ولي من أولياء الله، تجب محبته في الله ومن أجل الله، (**والعداوة**) من كان عدوا لله إما أن يكون عدوا لله بالكفر والشرك الأكبر فإنه يبغض ويعادى بغضا كاملا[١] وإن كان عدو لله بدون ذلك ككبائر الذنوب فإنه يبغض ويعادى بقدر ما فيه من فسق وبدعة ومعصية، لهذا جاء في النصوص أنّ الحب في الله والبغض في الله والوَلاية لله والعداوة لله؛ أي تحبه في الله، وتبغض في الله، وتوالي أولياء الله، هـٰذه من مستلزمات الإيمان، ومن توابع الإيمان.

(**ويترتّب على الإيمان ولا يتم إلا بأن يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه.**)؛ يعني أن الإيمان يبعث صاحبه على أنه يحب الخير للناس كما يحب الخير لنفسه، ويكره أن يصل الشر إلىٰ الناس المؤمنين، كما يكره أن يصل الشر إليه، فمن عرف من نفسه هـٰذا الأصل يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه من الخير الدنيوي والأخروي، ويبغض الشر لإخوانه، ويكره أن يصل إليهم كما يكره أن يصل الشر إليهم سواء فيما يتعلق بدينه أو فيما يتعلق بدنياه، وهو ميزان من موازين الإسلام.

---

(١) انتهى الشريط الرابع

يزن الإنسان به نفسه ينظر مدى محبته لإخوانه المؤمنين إذا أصابهم الله بخير وأعطاهم خيرا، هل يحسدهم أم أنه يحب لهم ويفرح، كما يحب أن يأتي الخير إليه دينا ودنيا.

أما إذا كان يحسد فلانا على ما أتاه من الخير الدنيوي أو الأخروي، ولا يحب له، فهـٰذا نقص عظيم في الإيمان، يجب أن يعالج نفسه حتى يرى بأنه يحب الخير لإخوانه المؤمنين مثلما يحب الخير لنفسه، ويكره أن يصل الشر إليهم مثلما يكره أن يصل الشر إلىٰ نفسه، وبذلك يتم الإيمان، وبدون ذلك فالإيمان ينقص بقدر ما يكون بالقلوب.

قال: (**ويترتّب على ذلك**) أي على هـٰذا الأصل الذي هو الإيمان بما تحمل كلمة الإيمان من معنى، (**ويترتّب على ذلك أيضا محبة اجتماع المؤمنين، والحث على التآلف، والتحابب، وعدم التقاطع**) هـٰذا هو الأصل الذي دعا إليه القرآن الكريم، ودعت إليه السنة النبوية، أن المؤمنين يجتمعون على البر والتقوى، ويتعاونون على ذلك، ويجتمعون على الاعتصام بكتاب الله، وسنة رسوله، كما أمرهم الله في قوله الحق: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾[آل عمران:١٠٣]، ولا يفرق الناس إلا البدع المحدثات والمعاصي المنكرات، تفرق بين الناس، فالمؤمن الصادق في إيمانه لا يحب المبتدع الضال، ولا يحب المنبعث في المعاصي والمسرف على نفسه؛ ولكنه يبغض هـٰذا وذاك بقدر ما فيهما من بدعة ومعصية.

فأما الإسلام فإنه يدعو إلىٰ محبة الاجتماع؛ أي اجتماع المؤمنين على الطاعة، واجتماع المؤمنين كتاب ربهم وسنة نبيهم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، واجتماع المسلمين أجمعين على واليهم المسلم، فلا يترعون يدا من طاعة، ولا يتعالون على مقام الولاية، فيحصل الخلل ويترتب عليه الضرر.

وإنما من طبيعة أهل الإيمان التآلف يكونون متآلفين بقلوبهم وألسنتهم وفي معاملاتهم، يكونون أهل أُلفة، المسلم يألف أخاه المسلم ويحترمه ويقدره ويتحاشى عليه أن يُدخِل عليه شيئا يضره في دينه أو دنياه.

(**والتحابب**) أي ما يوجب المحبة، يعملون عملا يوجب التحابب بينهم، فيحب المؤمنُ المؤمنَ محبة شرعية، محبة أصلها الإيمان وباعثها التقوى، وليست المحبة للقريب وإنما هي في الله عز وجل ومن أجل الله، ولهـٰذا ورد في الحديث أنك إذا أحببت شخصا فأخبره؛ أي قل له: إني أحبك في الله.

فتزداد محبته لك أيضا، يبادلك المحبة في الله لا من أجل المال، ولا من أجل الجاه ولا السلطان، لله ومن أجل الله، فهـٰذا من الإيمان.

ويكره المؤمنون التقاطع في ما بينهم؛ أي لا يجوز لمؤمن أن يقطع إخوانه المؤمنين، لاسيما لسبب تافه من متاع الدنيا، يقطع أخاه، فلا يصله، ولا يسلم عليه، ولا يعزيه إذا كان مصابا، ولا يزوره إذا كان مريضا، هـٰذه قطيعة، فتصل إخوانك بقدر ما تستطيع، إذا لقيته سلمت عليه، وإذا مرض تعوده، وإذا مات تتبع جنازته، وإذا استنصحك أو شاورك في أمر تشير عليه بالنافع.. وهكذا، إن افتقر واحتاج وأنت مقتدر تواسيه.. إلىٰ غير ذلك من أسباب المحبة وعدم التقاطع.

❁❁❁❁

[المتن]

ويبرأ أهل السنة والجماعة من التعصبات والتفرق والتباغض. ويرون هـٰذه القاعدة من أهم قواعد الإيمان، ولا يرون الاختلاف في المسائل التي لا توصل إلىٰ كفر أو بدعة موجبة للتفرق.

ويترتب على الإيمان محبة أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحسب مراتبهم، وأن لهم من الفضل والسوابق والمناقب ما فضلوا فيه سائر الأمة، ويدينون بمحبتهم ونشر فضائلهم، ويمسكون عما شجر بينهم، وأنهم أوْلى الأمة بكل خصلة حميدة، وأسبقهم إلىٰ كل خير وأبعدهم عن كل شر، ويعتقدون أن الأمة لا تستغني عن إمام يقيم لها دينها ودنياها، ويدفع عنها عادية المعتدين، ولا تتم إمامته إلا بطاعته في غير معصية الله تعالىٰ.

ويرون أنه لا يتم الإيمان إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد، وإلا باللسان، وإلا فبالقلب على حسب مراتبه الشرعية وطرقه المرعية.

وبالجملة فيرون القيام بكل الأصول الشرعية على الوجه الشرعي من تمام الإيمان والدين.

[الشرح]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قوله رحمه الله: (**ويبرأ أهل السنة والجماعة من التعصبات والتفرق والتباغض**) في هـٰذا بيان لمذهب أهل السنة والجماعة في التعامل مع الخلق، وأنهم كما وصفهم الله عزّ وجل أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، وأنهم امتثلوا وصية نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي وصّاهم بها «**لا تحاسدوا ولا**

تباغضوا ولا تدابروا»(١) الحديث، فهم متحابون في الله عز وجل متوادون، كما ضرب لهم المثل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٢) ويكرهون التعصبات، لا يتعصّبون لشخص غير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أمروا باتباعه، فلا يتعصبون للأئمة ولا للقادة ولا للأشخاص في الباطل، ويبتعدون عن التفرق لأن التفرق شر، نهى الله عز وجل عنه لقوله تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:١٠٣]، فالتفرق شر في الدين والدنيا، وذم الله عز وجل الذين فرّقوا دينهم ومناهجهم كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ﴾[الأنعام:١٥٩].

والتباغض كذلك، التباغض ضد التحابب في الله عز وجل، التباغض ليس من صفات أهل الإيمان وإنما من صفات أهل الحسد والأحقاد الذين مرضت قلوبهم، وتفرّقت أرواحهم، فتباغضوا، وهو من طبيعة أهل البدع والضلال.

أما أهل الإيمان فيحب بعضهم بعضا، ويحترم بعضهم بعضا، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه.

وهـٰذه قواعد من قواعد الإيمان؛ البراءة من التعصبات في الباطل، والتفرق المشين، والتباغض المدمّر للصلة بين المؤمنين.

يرى أهل السنة والجماعة (**هـٰذه القاعدة من أهم قواعد الإيمان**)، ويبرؤون من الاختلاف في المسائل التي لا توصل إلىٰ كفر أو بدعة، (**ولا يرون الاختلاف في المسائل التي لا توصل إلىٰ كفر أو بدعة موجبة للتفرق**)، نعم الخلاف بين العلماء(٣) الذين ليسوا من أهل البدع والأهواء إذا حصل بينهم اختلاف في مسائل العلم لا توصل إلىٰ كفر يخرج من الملة أو بدعة مضلة لا يرون ذلك الاختلاف موجبا للتفرق ولا للتباغض ولا للهجر، وإنما تبحث المسائل العلمية ويطلب لها الدليل، فمع من كان الدليل فهو أسعد به، ويُتَّبع الحكم الذي تقوم عليه أدلة الشرع.

---

(١) **مسلم**: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، حديث رقم (٢٥٦٤).

(٢) **البخاري**: كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم (٦٠١١).

مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم (٢٥٨٦).

(٣) انتهى الشريط الخامس.

ومن الإيمان محبة أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عموما الأولين والآخرين منهم، الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا، والذين جاؤوا من بعد الفتح كلهم تجب محبتهم لأنهم أنصار الدين، وأصحاب رسول الله وجاهدوا تحت لوائه، وحملوا التتريل من كتاب وسنة وجبت محبتهم، وهم أهل لذلك، ومن أبغضهم فهو من أهل الأهواء والبدع.

وذلك بحسب مراتبهم ففي المقدمة الخلفاء الراشدون الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ويليهم الستة الذين مات صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عنهم راض، وعلى العموم العشرة المبشرين بالجنة، وهكذا بحسب مراتبهم ومناقبهم وجبت محبتهم على كل مكلف من هذه الأمة، ولا يجوز بغض أحد منهم أبدا، ولا يجوز الخوض فيما شجر بينهم من الخصومات أو الخلاف العلمي كل ذلك لا يجوز؛ بل يقال في حقهم: من أصاب له أجران ومن أخطأ له أجر وخطؤه معفو عنه فيه.

ويعتقد أهل السنة والجماعة أن الأمة لا تستغني عن إمام –سلطان– يقيم لها دينها ودنياها؛ لأن الدين والدنيا لا تتم إقامتها على الوجه الصحيح إلا بسلطان مسلم إما خليفة وإما أمير، المهم أنه سلطان يُسمع له ويطاع، وتؤخذ له البيعة، وجبت طاعته في المعروف، ولا يجوز لأحد أن يخرج عليه، ولا يجوز لأحد أن يتكلم في ولايته بسوء حتى يوغر صدور الناس عليه، كما فعلت الخوارج في عهد الصحابة ومن بعدهم، وفي زمننا هذا من نشر مثالب ولاة الأمور والتشويش عليهم، والترويع بالرعية، فهذا عمل من عمل أهل الإجرام الذين لا يحبون الخير للمسلمين وإنما يحبون أن يقع الشر في صفوفهم، كما أن أهل السنة والجماعة يرون أنه لا يتم الإيمان إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقبل ذلك يعرفون معنى المعروف ومعنى المنكر فلا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من عرف المعروف وعرف المنكر.

فالمعروف هو ما عُرف حسنه شرعا وعقلا.

والمنكر ما عُرف قبحه شرعا وعقلا.

ومصدر ذلك الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، ومن يمشي على أثرهم.

فلابد من إقامته على مراتبه الثلاثة باليد واللسان والقلب، فالذين يستطيعون تغيير المنكر باليد كولاة الأمور بإقامتهم للحدود والتعزيرات ونحو ذلك وجب عليهم أن يغيروا باليد.

ومن لا يستطيع إلا بلسانه وجب عليه أن يغير بلسانه، كأهل العلم يبينون الأحكام الشرعية للناس ويحثوهم على التزام المعروف، ويحذروهم من الوقوع في المنكرات بأقلامهم وألسنتهم ومواعظهم وتوجيهاهم، في حدود الشرع، لا بفكر الخوارج الذين لا يلتزمون بقواعد الشرع، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما هو عندهم قتال أئمة المسلمين، ومن يواليهم على الطاعة.

فإن لم يستطع على تغيير المنكر بلسانه وبقلمه أبغض المنكر بقلبه، فالقلوب ليس لأحد عليها سلطان، يبغض المنكر وفاعله بقدر ما اجترح من المنكرات بقلبه، فلا يحبه محبة المؤمنين، ولا يبغضه بغض الكافرين إن كان من جملة المسلمين، وإنما يقدر الحب والبغض لأهل المعاصي والبدع بحسب ما جنوا من الذنوب كما هو طريقة السلف في ذلك.

وختم هـٰذه الأصول الأربعة رحمه الله بقوله: (**وبالجملة فيرون القيام بكل الأصول**) أي أهل السنة والجماعة أهل الحديث وأهل الأثر (**فيرون القيام بكل الأصول الشرعية**) أصول الإسلام والإيمان والإحسان، (**على الوجه الشرعي من تمام الإيمان والدين**) القيام بها من تمام الإيمان وفقدها إما أن يكون فقدا منافيا لأصل الإيمان أو منافيا لكمال الإيمان، بحسب العمل الذي يقع فيه صاحب التقصير والخطأ، والله أعلم.

سؤال (٠٣): ما هو القول الراجح في مسألة زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل هن من أهل البيت؟

الجواب: نعم من أهل البيت، زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل البيت، وهن الطاهرات المطهرات اللاتي أثنى الله عليهن جميعا.[1]

[المتن]

الأصل الخامس: طريقهم في العلم والعمل.

وذلك أنّ أهل السنة والجماعة يعتقدون ويلتزمون أن لا طريق إلىٰ الله وإلى دار كرامته إلا بالعلم النافع والعمل الصالح.

---

(١) وذلك لقول الله تعالىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)﴾[الأحزاب:٣٣].

فالعلم النافع هو ما جاء به الرّسول من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجتهدون في معرفة معانيها والتفقه فيها أصولا وفروعا، ويسلكون جميع طرق الدلالات فيها – دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام–، ويبذلون قواهم في إدراك ذلك بحسب ما أعطاهم الله. ويعتقدون أن هـٰذه هي العلوم النافعة، هي وما تفرع عليها من أقيسة صحيحة ومناسبات حُكمية، وكل علم أعان على ذلك أو وازره أو ترتب عليه فإنه علم شرعي، كما أن ما ضاده وناقضه فهو علم باطل، فهـٰذا طريقهم في العلم.

وأما طريقهم في العمل فإنهم يتقرّبون إلىٰ الله تعالىٰ بالتصديق والاعتراف التام بعقائد الإيمان التي هي أصل العبادات وأساسها، ثم يتقربون له بأداء فرائض الله المتعلقة بحقه وحقوق عباده، مع الإكثار من النوافل، وبترك المحرمات والمنهيات تعبّدا لله تعالىٰ، ويعلمون أن الله تعالىٰ لا يقبل إلا كل عمل خالص لوجهه الكريم مسلوكا فيه طريق النبي الكريم.

ويستعينون بالله تعالىٰ في سلوك هـٰذه الطرق النافعة التي هي العلم النافع والعمل الصالح، الموصل إلىٰ كل خير وفلاح وسعادة عاجلة وآجلة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا.

[الشرح]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المؤلف رحمه الله: (**الأصل الخامس: طريقهم في العلم والعمل**) أي طريق أهل السنة والجماعة –السلف وأتباعهم– يجمعون بين العلم والعمل، والمراد بالعلم هو العلم بالشرع؛ بكتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، والعمل الذي يُثمره العلم.

فمن جمع بين العلم والعمل فهو من المنعَم عليهم، ومن آتاه الله علما فلم يعمل به فقد تشبّه بالمغضوب عليهم، ومن عمل بدون علم فقد تشبّه بالضالين لأنهم عبدوا على جهل وضلال.

ثم العلم الشرعي، ووسائل العلم الشرعي، التي لا يتم العلم ولا يُفهم إلا بها، يحرص عليه أهل السنة والجماعة، ويلتزمون به من أجل أن يحببوا العلم الشرعي ليعلموه ويعملوا به، ويعلموه الناس، فهم جادون مجتهدون في التحصيل العلمي بكل وسيلة من وسائل التحصيل.

والعلوم أصول وفروع، فالأصول كالعلم بالتوحيد وحقائقه ومستلزماته، والفروع في التكاليف العملية وفروع المسائل العلمية، أهل السنة والجماعة يبذلون جهودهم ويتنافسون في فهم ذلك؛ في علم الأصول وعلم الفروع ويستعينون بالوسائل -وسائل العلوم الشرعية- كعلم أصول الفقه وأصول الحديث واللغة العربية وأصول التفسير.. وغيرها من الوسائل التي لا يستغني طالب العلم عنها، هـٰذا هديهم في التحصيل.

وكلما توسّع طالب العلم في التحصيل العلمي ازدادت رغبته، وأما طريقهم في العمل فإنهم يتقربون إلىٰ الله تعالىٰ بالتصديق والاعتراف التام بعقائد الإيمان -الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره- التي هي أصل العبادات، ومثلها أركان الإسلام والإحسان، وتراهم في العمل يؤدون الفرائض، ويتقربون إلىٰ الله بالنوافل، ويبتعدون عن المحرمات والمكروهات، ليكونوا من المقرّبين إلىٰ الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ.

ثم إن شروط العمل المقبول اثنان:

الشرط الأول: الإخلاص، والمراد به أن يخلص العامل في عمله لله وحده دون سواه، ليس له مقصد آخر من مقاصد الدنيا كالرياء والسمعة وأخذ المال ونحو ذلك، بل العامل من السلف وأتباعهم يعمل لله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، سواء يصلي أو يصوم أو يحج أو يتصدق كل ذلك يجب أن يكون خالصا لله. إذن العامل لا يقبل منه العمل إلا أن تتوفر فيه شرطان: الشرط الأول الإخلاص لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البينة:٠٥]، ولقوله عز وجل: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[الزمر:٠٣].

والشرط الثاني: الصواب فلابد أن يكون العمل الذي يعمله صاحبه مصيبا فيه؛ أي متأسيا فيه برسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وحينئذ ينجح في علمه وفي عمله وفي دعوته إلىٰ عمله.

كما يتقرّب المؤمن بترك المحرمات، والإكثار من الطاعات احتسابا لله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، ورغبة فيما عند الله من الأجر والثواب، كما أسلفت أن شروط العلم اثنان: الإخلاص والصواب

والمراد بالإخلاص أن يكون العمل لوجه الله، قد سلك صاحبه فيه طريق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والمراد بالصواب أن يكون على مراد الله ومراد رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فأي عمل توفر فيه الشرطان، فإنه عمل مبرور مقبول، وأي عمل تخلف فيه شرط أو تخلف فيه الشرطان فهو مردود على صاحبه. والله أعلم.

سؤال (٤٠): لماذا لا يرى شيخ الإسلام ابن تيمية تقسيم الدين إلىٰ فروع وأصول؟ ولماذا كانت الصلاة من الفروع مع أن الصلاة من أجل الأصول؟

الجواب: هـٰذا رأيه ورأي الجمهور تقسيم الدين إلىٰ أصول وفروع، وليس في الفروع نقص؛ لأن المراد بالفروع العمليات، والعمليات هي التي وقع فيها الاختلاف، والأصول لم يكون فيها الاختلاف.

الفهرست

الأصل الأول: التوحيد. ٢
الأصل الثاني: الإيمان بنبوة جميع الأنبياء عموما ونبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصوصا. ٦
الأصل الثالث: الإيمان باليوم الآخر ١٥
الأصل الرابع: مسألة الإيمان. ١٩
الأصل الخامس: طريقهم في العلم والعمل. ٣٦
الفهرست ٤٠